شخصيات من الحرمين الشريفين (٣١)

ابن أمّ مكتوم

محمد سليمان

ما زلنا في حديث عن مدرسة الصحبة المباركة، وعن بعض من وفقوا لها، ونالوا حظاً وفيراً من آدابها وقيمها وأحكامها وثمراتها اليانعة في الدنيا والآخرة، وظلوا متمسكين بها أيما تمسك حتى ارتحلوا إلى بارئهم...

فها هو عبدالله بن أمِّ مكتوم واحد من رموزها، لم يمنعه كونه ضريراً عن التأثر بتلك الصحبة والاستفادة منها، وأداء ما عليه من التزامات نحوها.

اختلف في اسمه؛ فكان أهل المدينة المنورة يقولون: عبدالله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي العامري، المعروف بابن أم مكتوم؛ فيما أهل العراق، سمّوه عمراً، واسمه عَمْرو، وهو الأكثر كما في أسد الغابة، وهو الذي اعتمده في الإصابة، أو هو عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وهو ابن خال أمِّ المؤمنين خديجة عليها السلام.

وأمه: هي عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم بن يقظة المخزومية. ولدته أمّه ضرير البصر. يقول ابن عاشور: وكنيّت أمَّ مكتوم؛ لأن ابنها عبدالله ولد أعمى، والأعمى يكنى عنه بمكتوم. ونسب إلى أمه؛ لأنها أشرف بيتاً من بيت أبيه، لأنّ بني مخزوم من أهل بيوتات قريش فوق بني عامر بن لؤي. وهذا كما نسب عَمْرو بن المنذر ملكُ الحِيرة إلى أمه هند بنت الحارث بن عمرو بن حُجر آكِل المُرار زيادة في تشريفه بوراثة الملك من قبل أبيه وأمه. ووقع في «الكشاف»: أنّ أمّ مكتوم هي أمّ أبيه. وقال الطيبي: إنه وهَم.

وما ذكره الزمخشري هو التالي: ابن أمّ مكتوم، وأمّ مكتوم أمّ أبيه، واسمه عبدالله بن شريح بن مالك ابن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي.[1]

إسلامه وهجرته:

أسلم بمكة قديماً، هاجر إلى المدينة المنورة بعد مصعب بن عمير، قبل أن يهاجر الرسول صلى الله عليه وآله إليها وقبل

بدر قال البراء: أوّل من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مُصعب بن عمير وابن أمّ مكتوم، فجعلا يُقْرِئان النّاس القرآن. وكذا عن أبي إسحاق. وهناك قولٌ إنه هاجر بعد وقعة بدر، كما جاء في حلية الأولياء: قدم المدينة بعد بدر بيسير، فنزل الصفة مع أهلها، فأنزله النبي ﷺ دار الغذاء وهي دار مخرمة بن نوفل.

ويبدو أنّ هذا كان اشتباهاً، فقد وردت الأخبار أنّ رسول الله ﷺ استخلف ابن أمّ مكتوم على المدينة في غزوة بدر. وأيضاً حديث أبي إسحاق عن البراء قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم، فقالوا له: ما فعل من وراءك؟ قال: هم أولاء على أثري.[٢]

شيءٌ عن أهل الصفة:

كان ابن أمِّ مكتوم واحداً من أهل الصفة، فقد «كان الراتبون بالصفة نحو أربعمائة رجل منهم أبو هريرة وابن أمّ مكتوم وصهيب وسلمان وخباب وبلال والمؤمنون به (عليه السلام) منهم من قام بالجهاد، ومنهم من قام بالزراعة، ومنهم من قام بتقييد العلم، ومنهم قام بالقراءة، ومنهم من ركن للعبادة». وقد جعل رسول الله ﷺ جمعاً من الصحابة كاتباً للوحي، وكلما نزلت سورة أو آية أمر الكاتب فيكتبها، وكذلك أمر الصحابة بكتابة السنة، ورغبهم وشوقهم إلى ذلك، فكانوا يجلسون حوله ﷺ ويكتبون الأحاديث، حتى أنّ جمعاً من أصحاب الصفة قاموا بذلك وليس لهم شغل وعمل سواه.[٣]

استخلافه:

اتفقوا في استخلافه من قبل رسول الله ﷺ على المدينة المنورة في

غزواته، واختلفوا في عددها:

فابن عاشور قال: وقد استخلفه على المدينة في خروجه إلى الغزوات ثلاث عشرة مرة.[٤]

الشيخ الطبرسي: واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين.[٥]

فيما قال ابن عبد البر: روى جماعة من أهل العلم بالنسب والسير أنّ النبيﷺ استخلف ابن أمّ مكتوم ثلاث عشرة مرة في الأبواء وبواط وذي العشيرة، وغزوته في طلب كرز بن جابر، وغزوة السويق، وغطفان، وفي غزوة أحد، وحمراء الأسد، ونجران، وذات الرقاع، وفي خروجه من حجة الوداع، وفي خروجه إلى بدر، ثم استخلف أبا لبابة لما رده من الطريق. وذكر قتادة أنّ النبيﷺ استخلفه في المدينة على الصلاة في غزوتين من غزواته.

وأما الواقدي فقال: حدثني عبيدالله بن نوح، عن محمد بن سهل بن أبي حثمة، قال: استخلف رسول اللهﷺ ابن أمّ مكتوم على المدينة، فكان يجمع بهم ويخطب إلى جنب المنبر يجعله على يساره.

ففي معركة بدر الكبرى: خرج رسول اللهﷺ من المدينة في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه، قال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان، واستعمل عمرو بن أمّ مكتوم ويقال: اسمه عبدالله بن أم مكتوم أخا بني عامر بن لؤي على الصلاة بالناس، ثم ردَّ أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة.[٦] وفي خبر أنهﷺ لثلاث خلون من شهر رمضان ووقع القتال يوم الجمعة السابع عشر منه، واستخلف ابن أمّ مكتوم الضرير على المدينة مدة غيابهﷺ وقد دامت هذه المدة تسعة عشر يوماً.

في غزوة قرقرة الكدر، ناحية

معدن بني سليم مما يلي حارة العراق إلى مكة و هي على بعد ثمانية أيام من المدينة: استخلفه، و سارﷺ للنصف من المحرم يريد سليم و غطفان ـ قبيلتين من قيس عيلان ـ فانجفلوا، و غنم من أموالهم، و رجع و لم يلق كيداً.[٧]

في غزوة بفران معدن بني سليم بناحية الفرع من الحجاز، استخلفه وقت غيابهﷺ عن المدينة عشرة أيام من جمادى الآخرة، فتفرقوا و لم يلق كيداً.[٨]

استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة أحد، و قاتل المشركين في سفح.

استخلفه في غزوة الخندق، و هو يقاتل الأحزاب دون الخندق من داخل المدينة في شهر شوال أو ذي القعدة.

في غزوة حمراء الأسد، وهي على بعد عشرة أميال من المدينة، استخلفه على المدينة لما سارﷺ في طلب أبي سفيان، حين بلغه أنه يريد الكر على المدينة، ففاته أبوسفيان و من معه فأقام فيها ثلاثة أيام، ثم عاد إلى المدينة.

استخلفه على المدينة في غزوة بني النضير بناحية الغرس، وكانت منازل بني النضير من اليهود ببئر غرس بقبا و ما والاها، و قبا قرية على ميلين من المدينة، و أصله اسم بئر هناك عرفت القرية به، حصرهم خمسة عشر يوماً، ثم أجلاهم عنها.[٩]

استخلفه في غزوة دومة الجندل، حين سار إلى أكيدر بن عبدالملك النصراني ـ وكان يعترض سفر المدينة و تجارتهم ـ فهرب وتفرق أهلها، فلم يجد بها أحداً، فأقام أيام وعاد إلى المدينة وهي أول غزواته إلى الروم. كانت دومة الجندل حصناً مبنياً بالجندل في متسع من الأرض خمسة فراسخ، و هي على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسولﷺ

خمس عشرة ليلة.[١٠]

استخلفه خمس ليال على المدينة في غزوة ذي قــرد وهي على ليلتين مــن المدينــة، وموقــع ذي قرد من طريق خيــبر، وكان عيينة بن حصن الفــزاري أغــار علــى لقاحه وهو بالغابة وهي على بريد من المدينة أو أكثر. فخرج صلى الله عليه وآله يوم الأربعاء لثلاث أو لأربع خلون من شهر ربيع الأول، فاستنقذ بعضها وعاد إلى المدينة.

اســتخلفه على المدينة في غزوة الحديبية، حين خرج الرسول صلى الله عليه وآله يوم الاثنــين هلال ذي الحجــة للعمرة، فصده المشــركون عــن دخول مكة، فأقام بالحديبية على تسعة أميال من مكة، ثم وقع الصلح بين الرســول وقريــش على أن يعتمر في الســنة القادمة.[١١]

مؤذن النبي صلى الله عليه وآله :

عرف كل من الصحابيين الجليلين بلال بن رباح وابن أمّ مكتوم بأنهما مؤذنــا رســول الله صلى الله عليه وآله لصدقهمــا ولجمال صوتهما ونبرتهما القوية... فإن أذن بلال للصلاة، أقام لها ابن أمّ مكتوم، وإن أذن ابن أمّ مكتوم، أقام بلال للصــلاة، وهكذا كانا يتبادلان هــذه الوظيفة المباركــة، وهي منزلة عظيمة وفّقــا لها أيما توفيق، وما زال المسلمون يذكرونهما بذلك.

ونسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إنّ بلالاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابــن أمّ مكتوم... ولأنه كان أعمى فــلا ينادي حتى يقال له: أصبحت، أصبحت.

وقد ذكر في الفقه أنّ مما يستحب في المؤذن أن يكون مبصراً؛ ليتمكن من معرفة الأوقات، لكنهم مع هذا أجــازوا أذان الأعمى، وأنه يعتدُ به؛ لمــا ورد في أذان ابن أمّ مكتوم وكان أعمى.

فقــد ورد في الفقيــه: وكان

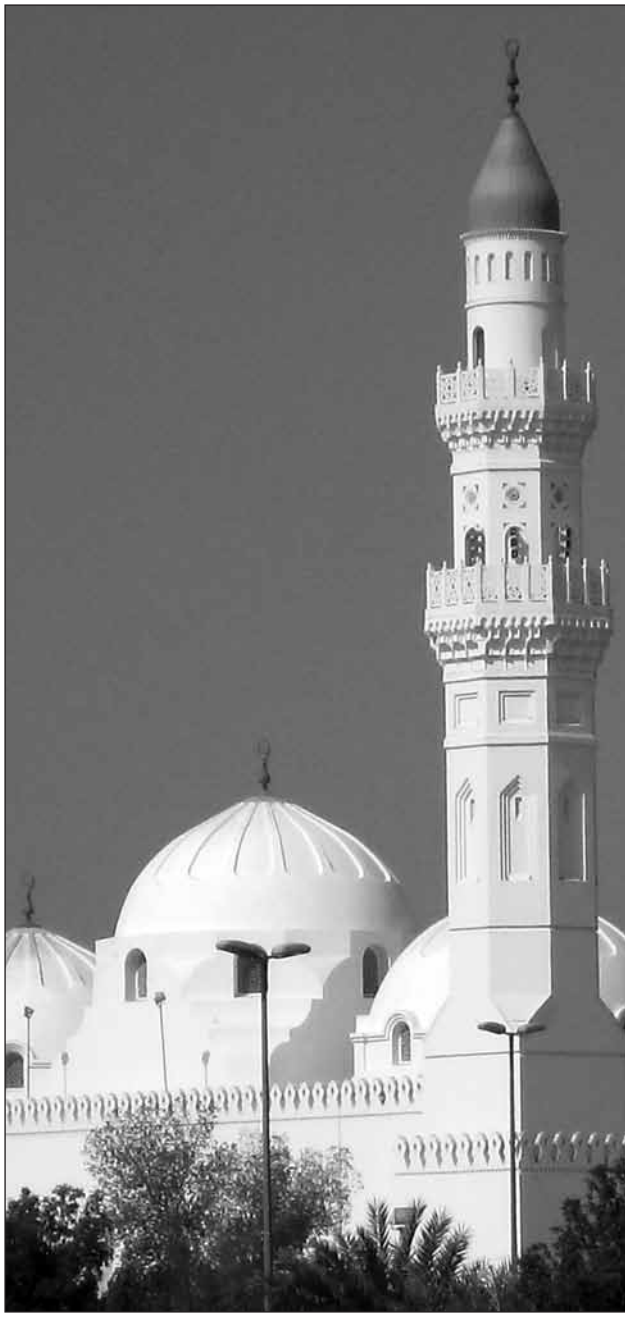

لرسول الله ﷺ مؤذنان، أحدهما بلال والآخر ابن أمّ مكتوم، وكان ابن أمّ مكتوم أعمى، وكان يؤذن قبل الصبح. وفي رواية ثانية عنه ﷺ: «إنّ ابن أمّ مكتوم يؤذن بالليل، فإذا سمعتم أذانه، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان بلال». فغيّرت العامة هذا الحديث عن جهته، وقالوا: إنه عليه السلام قال: «إنّ بلالاً يؤذن بليل، فإذا سمعتم أذانه، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أمِّ مكتوم».[١٢]

ما أعظمها من منازل!

وقد ورد العديد في منزلة المؤذنين وفضيلتهم وأجورهم وما ينتظرهم من ثواب جزيل، منها:

ما رواه بلال في كلام طويل له ينقل فيه ما سمعه من رسول الله ﷺ من فضائل في المؤذنين، وما يترتب لهم من أجور عظيمة، وغفران للذنوب... ومما جاء: سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المؤذنون أمناء المؤمنين على صلواتهم وصومهم ولحومهم ودمائهم، لا يسألون الله عزّوجلّ إلا أعطاهم، ولا يشفعون في شيء إلا شفعوا...».

وعن الصادق عليه السلام: «أنهم الأمناء».[١٣]

ذلك هو أداؤهم، وتلك إذن هي منزلتهم، فما أجلَّه من عمل صالح، وما أعظمها من منزلة رفيعة! وقد حظي بها ابن أمّ مكتوم وإخوانه المؤذنون من: ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب**﴾.[١٤]

مما رواه:

قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما ارتفعت الشمس، وناس عند الحجرات، فقال: «يا أهل الحجرات سعرت النار، وجاءت الفتن كقطع الليل، لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً».[١٥]

آيات قرآنية:

مقطع قرآني مؤلف من عشر آيات، من الآية: ١ حتى الآية ١٠ من سورة عبس:

﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَآءَهُ ٱلأَعۡمَىٰ * وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ * أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ * وَهُوَ يَخۡشَىٰ * فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ**﴾.

في اللغة:

عَبَسَ: لغةً من عَبَسَ فلانٌ يعبس عَبساً وعُبُوساً: جمع، جلدَ ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهَّم. وعبس اليومُ: اشتدَّ فهو عابسٌ وعبَّاسٌ وعَبُوسٌ.[١٦] وقد جاءت ثلاث مرات في الآيات:

المدثر: ﴿**ثمَّ عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر**﴾.[١٧] في الوليد بن المغيرة، عبس: قطّب وجهه.

الإنسان: ﴿**إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً**﴾.[١٨] تكلح فيه الوجوه لهوله.

ومرة في سورة عبس. وقرىء عبس بالتشديد للمبالغة.

تولّى: تولّى الشيءُ: أدبر، ويقال تولّى عنه: أعرض وتركه... أعرض بوجهه.

تَصَدَّى: تتصدّى وتتعرّض له وتقبل عليه.

تلهّى: تتلهّى وتتشاغل عنه، بالحديث مع غيره.

وقد سميت السورة بسورة السفرة (الآية:١٥) وسورة الأعمى لذكرهما فيها، لكنها اشتهرت بهذا الفعل ﴿**عبس**﴾ ولعل ذلك - والله أعلم - لما يحمله من شيء ذي أهمية خصوصاً وقد عطف عليه الفعل تولّى وألحقه بعد آيات بفعل ﴿**تَلَهَّىٰ**﴾،﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ... فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ**﴾.

وعن بداية السورة بهذين الفعلين: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ**﴾ يقول ابن عاشور: افتتاح هذه السورة بفعلين متحملين لضمير لا معاد له، في الكلام تشويق لما سيورد بعدهما، والفعلان يشعران بأن المحكي حادث عظيم، فأما الضمائر فيبين إبهامها قولُه: ﴿**فأنت له تصدى**﴾. وأما الحادث فيتبين من ذكر الأعمى ومَن استغنى. وهذا الحادث سبب نزول هذه الآيات من أولها إلى قوله: ﴿**بَرَرَةٍ**﴾.[١٩]

يتولى هذا المقطع من هذه السورة معالجة حادث معين، وقع في مكة المكرمة، راح التنزيل العزيز يبين طرفيه: أحدهما ﴿**ٱلْأَعْمَىٰ**﴾ والآخر ﴿**مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ**﴾ والطرف الرئيس في هذا الحادث هو من بينت دوره هذه الأفعال: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ... تَصَدَّىٰ... تَلَهَّىٰ**﴾ دون ذكر صريح يبيّن هويته.

﴿مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾

وهم كبار قريش ووجوهها: عتبة بن ربيعة، وأبوجهل بن

هشام، والعباس بن عبدالمطلب، وأبيّ وأمية ابنا خلف، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة. كلهم أو بعضهم، أو غيرهم على اختلاف في الأخبار، ويأتينا بعضها.

﴿الأَعْمَى﴾

فإن اختلفوا فيمن ﴿عَبَسَ﴾ وفي ﴿مَنِ اسْتَغْنَىٰ﴾ فقد أجمع أهل التفسير على أنّ الأعمى هو ابن أمِّ مكتوم ليس غيره، وبالتالي فهو سبب نزول هذا المقطع.

فالقرآن الكريم لم يذكره باسمه عبدالله بن أمّ مكتوم، وإنما ذكره بصفته الظاهرة فيه، وهي العمى، والتي صارت لقباً له عرف به في أوساط ساحته، ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ فلعل هذا ـ والله أعلم ـ ترقيقاً للقلوب واستعطافها عليه؛ وأنه أجدر أن يرأف به وأن يُرحم، يقول ابن عاشور: عبر عن ابن أمّ مكتوم بـ: ﴿الأعمى﴾... ليكون العتاب ملحوظاً فيه أنه لما كان صاحب ضَرارة فهو أجدر بالعناية به، لأنّ مثله يكون سريعاً إلى انكسار خاطره. أو أنه ذكره بهذا اللقب ـ لقب العمى ـ ؛ ليبين عذر عبدالله بن أمّ مكتوم لما قدم على النبيﷺ وهو يتحدث مع رؤساء قريش، فكأنه يقول: إنّ عبدالله بن أمّ مكتوم قطع هذا الحديث؛ لكونه أعمى لا يرى. أو لأنّ الكفار الذين كانﷺ يدعوهم للإسلام كانوا مبصرين؛ ليبين تعالى أنّ العمى هو عمى القلوب، فهذا رجل أعمى في بصره، ولكنه مبصر ببصيرته، وأولئك مبصرون بأبصارهم، ولكنهم أعمون بقلوبهم، فيكون في ذلك عبرة للناس إلى يوم القيامة؛ كما قال الله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

ويقول السيد العلامة: وفي

التعبير عن الجائـي بالأعمى مزيد توبيخ لما أنّ المحتاج الساعي في حاجته إذا كان أعمـى فاقداً للبصر وكانت حاجته في دينه دعته إلى السعي فيها خشـية الله كان من الحري أن يرحم ويخص بمزيـد الإقبال والتعطف، لا أن ينقبض ويعرض عنه.[٢٠]

وبالتالي فليس في ذلك ذمٌّ له أو إنقاص منـه، أو يدخل تحت عنوان التنابز بالألقـاب... وقد جاءت هذه الصفة في الآية: ٦١ من سورة النور: ﴿**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم...**﴾ لرفع الإثم عنهم.

وفي الآية الأخرى: ١٧ من سـورة الفتح: ﴿**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج...**﴾ حـرج: إثم مؤاخذة في التخلف عن الجهاد.

فقـد ذكـرت الآيتـان صنفين وسمتهما بصفتيهما الظاهرتين فيهما وهما: ﴿**الأعمى.. والأعرج**﴾.

ويقول الشـيخ الشـنقيطي في قوله تعالى: ﴿**أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى**﴾: عبر الله تعالى عن هذا الصحابي الجليل الـذي هو عبـدالله بـن أمّ مكتوم بلقـب يكرهه الناس مـع أنه قال: ﴿**وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ**﴾. والجواب هو ما نبه عليه بعـض العلماء من أنّ السـر في التعبير عنه بلفظ الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لو كان يرى ما هو مشتغل به مع صناديد الكفار لما قطع كلامه.[٢١]

مَن العابس؟

ونظراً لما حـكاه هذا المقطع من حادث كبير وقع لمؤمن ضرير صالح، ولما حملته الآيات من أمور كالعبوس والتولّي والتلهّي، فقد ترك سـجالاً بين علماء ومفسري العامة والخاصة،

فبعد أن أجمع أهل التفسير على أن الأعمى هو ابن أمّ مكتوم ليس غيره، وبالتالي فهو سبب نزول هذا المقطع، لكنهم اختلفوا فيمن ﴿**عبس وتولّى... وتلهّى**﴾.

ولئن اتفق مفسرو العامة في أمهات كتبهم وفي غيرها على أنَّ من عبس وتولى... هو رسول الله صلى الله عليه وآله ولم أجد فيما تيسر لي منهم مخالفاً. ولهم رواياتهم والتي منها:

عن ابن عباس قوله: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى**﴾ قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عُتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب، وكان يتصدّى لهم كثيراً، ويَعرض عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى، يقال له عبدالله بن أمّ مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبدالله يستقرئ النبيّ صلى الله عليه وسلم آية من القرآن، وقال: يا رسول الله، عَلِّمني مما علَّمك الله، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعَبَس في وجهه وتوّلى، وكرِه كلامه، وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثم خَفَق برأسه، ثم أنزل الله: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّى أوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾، فلما نزل فيه أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلَّمه، وقال له: «ما حاجَتُك، هَلْ تُرِيدُ مِنْ شَيْءٍ؟» وإذا ذهب من عنده قال له: «هَلْ لَكَ حاجَةٌ فِي شَيْءٍ؟» وذلك لما أنزل الله: ﴿**أمّا مَنِ اسْتَغْنَى فأنْتَ لَهُ تَصَدّى وَما عَلَيْكَ ألاّ يَزَّكّى**﴾.

وأنَّ ابن أمّ مكتوم أقبل والنبيّ صلى الله عليه وآله مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى، وقد قوي طمعه في إسلامهم وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم، فجاء ابن أمّ

مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وجعل يناديه ويكثر النداء، ولايدري أنه مشتغل بغيره، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء: إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد؛ فعبس وأعرض عنه، فنزلت الآية. قال الثوري: فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ابن أمّ مكتوم يبسط له رداءه ويقول: (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي). ويقول: (هل من حاجة)؟ فيكرمه حتى يستحي ابن مكتوم من كثرة إكرامه له.[٢٢]

ولئن اتفقوا كما ذكرنا، فقد اختلف مفسرو وعلماء الخاصة وهم الإمامية بين مَن قال بنزولها فيه ﷺ وبين من قد يُفهم من كلامه ترجح لذلك، مع تأكيدهم على أنّ هذا لا يخدش أو يقدح في خلقه وعصمته ﷺ وأنه ليس إلا عتاباً من قبل السماء، ومن قبله ﷺ لا يعدو كونه إلا تركاً للأولى؛ وبعد أن يذكر الشيخ الطبرسي أنّ الله عاتب رسوله ﷺ على ذلك، يذكر أنه روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رأى عبدالله بن أمّ مكتوم، قال: مرحباً، مرحباً لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً، وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكفّ عن النبي ﷺ مما يفعل به».[٢٣]

وبين من رفض بقوة ذلك؛ لأنه مخالف لخلقه ﷺ. وبعد أن ذهب هذا الفريق من الإمامية إلى أنه ليس رسول الله ﷺ هو المقصود في مقطع ﴿**عبس وتولى**...﴾ وإنما المعني بها:

* إما غيره، وهو قول المرتضى علم الهدى: أما ظاهر الآية فغير دال على توجهها إلى النبي ﷺ ولا فيها ما يدل على أنه خطاب له، بل هي خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه.

وفيها ما يدل عند التأمل على أنّ المعني بها غير النبيﷺ لأنه وصفه بالعبوس، وليس هذا من صفات النبيﷺ في قرآن ولا خبر مع الأعداء المنابذين، فضلاً عن المؤمنين المسترشدين. ثم وصفه بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء، وهذا مما لا يوصف به نبينا عليه السلام من يعرفه، فليس هذا مشبهاً مع أخلاقه الواسعة، وتحننه على قومه وتعطفه، وكيف يقول له وما عليك ألاّ يزّكّى وهو صلى الله عليه وآله مبعوث للدعاء والتنبيه، وكيف لا يكون ذلك عليه. وكان هذا القول اغراء بترك الحرص على إيمان قومه.

ثم يواصل السيد كلامه قائلاً: وقد قيل إنّ هذه السورة نزلت في رجل من أصحاب رسول اللهﷺ كان منه هذا الفعل المنعوت فيها، ونحن وإن شككنا في عين من نزلت فيه، فلا ينبغي أن نشك إلى أنها لم يعن بها النبي، وأيّ تنفير أبلغ من العبوس في وجوه المؤمنين، والتلهي عنهم، والاقبال على الأغنياء الكافرين، والتصدي لهم، وقد نزه الله تعالى النبيﷺ عما هو دون هذا في التنفير بكثير.[٢٤]

ثم إنّ الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة، ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفهﷺ: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾.[٢٥] وقوله: ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾.[٢٦] فالظاهر أنّ قوله: ﴿**عبس وتولى**﴾ المراد به غيره.

السيد العلاّمة: وقد عظّم الله خلقهﷺ إذ قال ـ وهو قبل نزول هذه السورة ـ : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ والآية واقعة في سورة «ن» التي اتفقت الروايات المبينة لترتيب نزول السور على أنها نزلت بعد سورة إقرأ باسم ربك، فكيف يعقل

أن يعظم الله خلقه في أول بعثته ويطلق القول في ذلك، ثم يعود فيعاتبه على بعض ما ظهر من أعماله الخلقية، ويذمه بمثل التصدي للأغنياء، وإن كفروا، والتلهي عن الفقراء، وإن آمنوا واسترشدوا.

وقال تعالى أيضاً:

﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾.[٢٧] فأمره بخفض الجناح للمؤمنين والسورة من السور المكية والآية في سياق قوله: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ النازل في أوائل الدعوة.

وكذا قوله: ﴿**لا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين**﴾.[٢٨] وفي سياق الآية قوله: ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾.[٢٩] النازل في أول الدعوة العلنية، فكيف يتصور منه صلى الله عليه وآله العبوس والإعراض عن المؤمنين، وقد أمر باحترام إيمانهم وخفض الجناح، وأن لا يمدّ عينيه إلى دنيا أهل الدنيا.

على أنّ قبح ترجيح غنى الغني ـ وليس ملاكاً لشيء من الفضل ـ على كمال الفقير وصلاحه بالعبوس والإعراض عن الفقير والإقبال على الغني لغناه، قبح عقلي مناف لكريم الخلق الإنساني، لا يحتاج في لزوم التجنب عنه إلى نهي لفظي.[٣٠]

* وإما هو من بني أمية، كما عليه الرواية التالية، التي ذكرها الشيخ الطبرسي في تفسيره عن الصادق عليه السلام أنها نزلت في رجل من بني أمية، كان عند النبي صلى الله عليه وآله فجاء ابن أمّ مكتوم، فلما رآه تقذر منه، وجمع نفسه، وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه.

* أو هو عثمان؛ كما صرحت به رواية علي بن إبراهيم القمي: قال: نزلت في عثمان وابن أمّ مكتوم، وكان ابن أمّ مكتوم مؤذناً

لرسول الله ﷺ وكان أعمى، فجاء إلى رسول الله ﷺ وعنده أصحابه وعثمان عنده، فقدمه رسول الله ﷺ على عثمان، فعبس عثمان وجهه وتولى عنه، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ أي يكون طاهراً زكياً، أو يذّكر، قال: يذكره رسول الله ﷺ فتنفعه الذكرى. ثم خاطب عثمان فقال: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ قال: أنت إذا جاءك غني تتصدى له وترفعه وما عليك ألاّ يزّكّى، أي لا تبالي زكياً كان أو غير زكيّ إذا كان غنياً، وأما من جاءك يسعى، يعنى ابن أمّ مكتوم، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾. أي تلهو ولا تلتفت إليه.[٣١]

وأكتفي بما أتفقت عليه وأثبتته مصادرُ الفريقين من أنّ ابن أمِّ مكتوم هو الأعمى، الذي تدور حوله هذه الآيات بكل ما تحمله، وليس غيره، أما ما اختلفت فيه، وكثرت فيه الأقوال وتشعبت، والمتمثل بمَن العابس، فليست هذه المقالة مخصصة له، وقد أوجزت الكلام فيه أو أشرت لما عليه أقوالهم، وقد كتب فيه الكثير في مصادر التفسير وفي غيرها. فمن أراد زيادةً فعليه بها.

﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.[٣٢]

نزلت الآية في كعب بن مالك من بني سلمة، ومرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية من بني واقف، تخلَّفوا عن رسول الله يوم تبوك، وعذر الله أولي الضرر وهو عبدالله بن أمّ مكتوم، رواه أبوحمزة الثمالي في تفسيره. وقال

زيد بن ثابت: «كنت عند النبي حين نزلت عليه ﴿**لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله**﴾ ولم يذكر أُولي الضرر فقال ابن أمّ مكتوم: فكيف وأنا أعمى لا أبصر فتغشى النبي الوحي ثم سري عنه فقال: اكتب: ﴿**لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر**﴾ فكتبتها».

وفي البخاري عن البراء قال: لما نزلت: ﴿**لا يستوى القاعدون من المؤمنين**﴾.

دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابن أمّ مكتوم فشكا ضرارته، فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿**غير أولى الضرر**﴾.

عن ابن عباس قال: لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر عن بدر، والخارجون إلى بدر، لما نزلت غزوة بدر قال عبدالله بن جحش وابن أمّ مكتوم: إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة؟ فنزلت: ﴿**لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر... وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة**﴾ فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر ﴿**وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه**﴾.

آية بل آيتان قرآنيتان راحتا تعالجان موضوعاً خاصاً لأناس مؤمنين؛ ملئت قلوبهم حبّاً لمرافقة إخوانهم، وهم يعدون العدة للجهاد، وما منعهم عن ذلك إلا أنهم ابتلوا بما يمنعهم ويعيقهم عن الجهاد في سبيل الله، إنهم أولوا الضرر، هكذا سمّاهم القرآن الكريم، حين استدرك وهو يتحدث عن «قاعدة عدم الاستواء بين القاعدين من المؤمنين عن الجهاد بالأموال والأنفس ـ غير أولي الضرر الذين يقعدهم العجز عن الجهاد بالنفس، أو يقعدهم الفقر والعجز عن الجهاد بالنفس والمال ـ عدم الاستواء بين هؤلاء القاعدين

والآخرين الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم..».

وواحد منهم عبدالله بن أمّ مكتوم، الذي جاء فقال: يا رسول الله، إني أحب الجهاد في سبيل الله، ولكن بي من الزمانة ما قد ترى، قد ذهب بصري، وفي رواية هو وعبدالله بن جحش أتيا رسول الله قبيل غزوة بدر وقالا: إنا أعميان يا رسول الله،... فنزل قوله تعالى: ﴿...غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ...﴾» فصار ذلك مخرجاً لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد؛ من العمى والعرج والمرض، وبيّن مساواتهم للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. وهو يتحدث عن فضيلة المجاهدين على القاعدين مستثنياً من هؤلاء أقواماً، وهم أصحاب الأعذار، فعن أنس: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ بالمدينة أقواماً ما سرتم من مسير، ولا قطعتم من واد، إلاّ وهم معكم فيه» قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله؟ قال: «نعم حبسهم العذر» وعن النبي ﷺ أنه قال: «لقد تركتم بالمدينة أقواماً ما سرتم من مسير، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من واد، إلاّ وهم معكم فيه»، قالوا: وكيف يكونون معنا فيه يا رسول الله؟ قال: «نعم، حبسهم العذر» وفي هذا المعنى قال الشاعر:

يا راحِلِيْنَ إلى البيتِ العَتيقِ لَقَدْ
سِرْتُمْ جُسوماً وسِرْنا نحن أرْواحا
إنَّا أقمْنا على عُذْرٍ وعَنْ قَدَرٍ
ومَنْ أقامَ على عُذْرٍ فَقَدْ راحا».[٣٣]

منزلته :

حظي هذا الصحابي الجليل بمنزلة رائعة، ومكانة عالية عند رسول الله ﷺ فإضافةً إلى ما نسب إلى رسول الله ﷺ من مواقف وأقوال بحقه والتي منها: كان النبي ﷺ إذا رأى ابن أمّ مكتوم يبسط له رداءه ويقول: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي».

ويقول: «هل من حاجة»؟

وذكرنا ما قاله الشيخ الطبرسي في تفسيره: روي أيضا عن الصادق عليه السلام أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى عبدالله بن أمّ مكتوم قال: مرحباً مرحباً، [والله] لا يعاتبني الله فيك أبداً، وكان يصنع به من اللطف، حتى كان يكف عن النبي صلى الله عليه وآله مما يفعل [به]». فزيادةً على هذا؛ لعله كان لا يفارق رسول الله صلى الله عليه وآله طويلاً، والذي يبدو من بعض الروايات أنه كان يتردد على النبي صلى الله عليه وآله وهو في بيوته أو حجره:

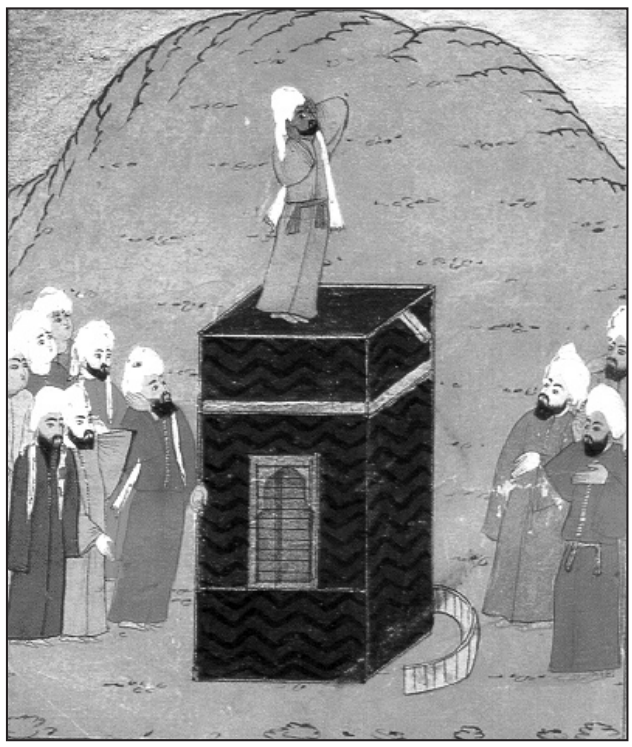

فعن محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله قال: استأذن ابن أمّ مكتوم على النبي صلى الله عليه وآله وعنده عائشة وحفصة فقال لهما: قوما فادخلا البيت، فقالتا: إنه أعمى فقال: إن لم يركما فإنكما تريانه.

وعن أمّ سلمة قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده ميمونة، فأقبل ابن أمّ مكتوم وذلك بعد أن أمر بالحجاب، فقال: احتجبا، فقلنا:

يارسول الله، أليس أعمى لا يبصرنا؟ قال: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟ [٣٤]

وقد جاءا به تأييداً لما استفاداه من الآية: ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن...**﴾ [٣٥] أنّ حكم النساء حكم الرجال في وجوب غضّ الطرف وحفظ الفرج، أو نهي النساء عن النظر إلى الأجانب.

قال المحقق البهبودي في زبدة البيان: قد اشتبه المراد من آية الحجاب على بعض كالمؤلف رضوان الله عليه، فتوهم أنّ المراد بآية الحجاب في هذا الحديث آية النور المبحوث عنها وليس كذلك، بل المراد آية الأحزاب٥٣: ﴿**وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن**﴾ ففرض أن لا يتكلموا إلاّ وبينهم وبينهن حجاب من ستر، وهذا الحكم من مختصات أمهات المؤمنين. وقوله ﷺ: «احتجبا» يعني ادخلا وراء الستر، فقالا: إنه أعمى، يعنون أنّ عماه كالغشاء والستر بينه وبينهن، فقال ﷺ: هذا ستر يستركن من عينه ولا يستره عن عيونكن، وقد كان الواجب حجاب يستر على الجانبين.[٣٦]

أقول:

وكلامه هذا يصحّ لو أنّ المحقق استفاد مسألة الحجاب، ولكنه استفاد من الآية كما من تأييد الحديث حرمة النظر إلى الأجنبي، ووجوب غضّ البصر. وقد احتج بهذا الحديث عدد ممن تيسّر لي من المفسرين من الفريقين وفي تفسيرهم لهذه الآية:٣١ النور.

فليس هناك توهم من المحقق الأردبيلي ومن قبله الشيخ السيوري في كنز العرفان.

وهذا القرطبي، بعد أن يذكر التالي:

وبدأ بالغضِّ قبل الفرج؛ لأنّ البصر رائد للقلب، كما أنّ الحمى رائد الموت، وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

أَلم تر أنّ العين للقلب رائد
ماتألف العينان فالقلب آلف

وفي الخبر: «النظر سهم من سهام إبليس مسموم، فمن غضّ بصره أورثه الله الحلاوة في قلبه».

ينقل الحديث عن الترمذي:

عن نبهان مولى أم سلمة، أنّ النبيﷺ قال لها ولميمونة، وقد دخل عليها ابن أمّ مكتوم: «احتجبا» فقالتا: إنه أعمى؛ قال: أفعمياوان أنتما ألستما تُبصرانه؟

ثمَّ قال: فإن قيل: هذا الحديث لا يصحّ عند أهل النقل؛ لأنّ راويه عن أمّ سلمة نبهان مولاها، وهو ممن لا يحتج بحديثه. وعلى تقدير صحته فإنّ ذلك منه عليه السلام تغليظ على أزواجه لحرمتهن، كما غلظ عليهن أمر الحجاب؛ كما أشار إليه أبوداود وغيره من الأئمة.

ويبقى معنى الحديث الصحيح الثابت وهو: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أمر فاطمة بنت قيس أن تعتدّ في بيت أمّ شَريك؛ ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند ابن أمّ مَكْتُوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك ولا يراك» قلنا: قد استدلّ بعض العلماء بهذا الحديث على أنّ المرأة يجوز لها أن تطلع من الرجل على ما لا يجوز للرجل أن يطلع من المرأة كالرأس ومعلّق القُرْط؛ وأما العورة فلا. فعلى هذا يكون مخصصاً لعموم قوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**﴾، وتكون «من» للتبعيض كما هي في الآية قبلها.

قال ابن العربي: وإنما أمرها بالانتقال من بيت أمّ شَريك إلى بيت ابن أمّ مكتوم؛ لأنّ ذلك أوْلى بها من بقائها في بيت أمّ شريك؛

إذ كانت أمّ شـريك مؤثـرة بكثرة الداخل إليها، فيكثر الرائي لها، وفي بيت ابن أمّ مكتـوم لا يراها أحد؛ فكان إمسـاك بصرها عنه أقرب من ذلـك وأوْلى، فرخص لهـا في ذلك، والله أعلم.[٣٧]

ولهـم ردٌّ آخـر لهـذا الحديث، وخلاصـة ما جاء في ردّهـم له، أنه حديث ضعيف؛ لشـذوذه، ومخالفته للأحاديـث الصحيحـة، وهـذا الحديـث وإن حسّـنه الترمذي أو صححه، فالقاعدة التي قررها علماء الأصول وعلماء مصطلح الحديث ـ والكلام لهم ـ أنـه إذا كان صحيح السـند وخالف ما هـو أصح منه، فإنه يعتبر شـاذاً ضعيفاً لا يعمل به؛ لأنّ من شـرط الحديـث الصحيح ألا يكون شـاذاً، فحديث نبهان هذا شـاذ على فرض صحتـه، وله علة أخرى توجب ضعفه وهي: أنّ نبهان المذكـور لم يوثقه مـن يعتمد عليه وهو قليـل الرواية، فلا يعتمد عليه في مثل هذا الحديث، وحتى إن حمله بعضهـم على أنه خـاص بأمهات المؤمنين دون غيرهـن، فهو لا وجه له ـ كما يقولون ـ لأن التخصيص يحتاج إلى دليـل عليه، وليس لديهم دليل على التخصيص.

وهـذا الفريـق أفتى بجـواز أن تكشـف المرأة عن وجهها في حالة وجود رجـل كفيف أجنبي عنها، بل لا حرج على المرأة في السـفور عند الرجل الكفيف؛ لما ثبت في صحيح مسـلم عن فاطمة بنـت قيس أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لها لما طلقـت: اعتدي عند ابن أمّ مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فلا يـراك، وفي الصحيحين من حديث سهل بن سـعد أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما جعل الاستئذان من أجل النظر».

وظهر من رواية مثلها في صحيح

مسلم، كتاب الطلاق: أنّ ابن أمِّ مكتوم كان ابن عمّها، وهذا نصّها: أنّ فاطمة بنت قيس لما طلقت، أمرها الرسول أن تعتدّ في بيت ابن عمّها ابن أمِّ مكتوم؛ لكونه أعمى ضرير البصر، وإذا وضعت خمارها لا يراها.

والغضّ: صرف المرء بصره عن التحديق وتثبيت النظر. ويكون من الحياء كما قال عنترة:

وأغض طرفي حين تبدو جارتي
حتى يواري جارتي مأواها.[٣٨]

هذا وأنّ في غضِّ البصر، كما يؤكد عليه العلماء، طهارةً للقلوب، وحفظاً للنفوس من أن تتلوث، وسلامةً للدين والدنيا، وزيادةً في الأجر والثواب.

شهيد أهل الجنة الأعمى!

لم يهدأ له بال بعد وفاة رسول الله ﷺ وكأنه يستعجل اللحاق به، فلم يركن للبقاء في المدينة، وراح يشارك في الغزوات حتى كانت معركة القادسية، سنة ١٤هـ في عهد الخليفة الثاني عمربن الخطاب، وبقيادة سعد بن أبي وقاص، وكان عدد المسلمين فيها أزيد من سبعة آلاف، فيما كان عدد العدو أربعين ألفاً، وقيل: ستين ألفاً ومعهم سبعون فيلاً، وعن المدائني أنهم اقتتلوا ثلاثة أيام في آخر شوال سنة خمس عشرة، فقتل رستم قائد جيشهم وانهزموا في تلك الواقعة، التي عرفت بشراستها وقوتها.

فما كان من ابن أمّ مكتوم إلاّ أن يسرع متكئاً على ذراع أحد إخوانه من المسلمين، ليقف فوق مكان عال منادياً بأعلى صوته:

ادفعوا إليَ اللواء... إني أعمى لا أستطيع الفرار... وأقيموني بين الصفين.

ويحاول المسلمون أن يثنوه عن عزمه، وقال أنس بن مالك:

رأيت يوم القادسية عبدالله ابن أمّ مكتوم الأعمى، وعليه درع يجرُّ أطرافها، وبيده راية سوداء؛ فقيل له: أَليس قد أنزل الله عذرك؟! قال: بلى! ولكني أُكثر سواد المسلمين بنفسي. وروي عنه أنه قال: فكيف بسوادي في سبيل الله! وراح يصيح ويطالب باللواء، وفعلاً دفع إليه لواء المسلمين، فحمله وظلّ يقاتل مسترشداً ومستضيئاً بنور بصيرته، حتى سقط على أرض المعركة فيمن سقط من الشهداء وهم كثر.

فاستشهد رضوان الله عليه في هذه المعركة على قول، وعلى آخر للواقدي: شهد القادسية، ثم رجع إلى المدينة، فمات بها، ولم نسمع له بذكر بعد عمر.

وعن ابن أمّ مكتوم أنه قال: إنّ جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده ابن أمّ مكتوم، فقال: متى ذهب بصرك؟ قال: وأنا غلام، فقال: قال الله تعالى: إذا أخذت كريمة عبدي لم أجد له جزاء إلا الجنة، وها هي الجنة، وها هو ابن أمّ مكتوم قد حصل على ما يدخله الجنة، إنها الشهادة التي طالما تمناها، وما منعه عنها زمناً إلاّ ضرارته، فهنيئاً لك يا ابن أمّ مكتوم. هنيئاً لك صحبتك لرسول الله صلى الله عليه وآله وهنيئاً لك بشارة جبريل بأنّ لك الجنة!

وختمت حياته بخير، فسلام عليه في الخالدين: ﴿...**الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**﴾.[٣٩]

الهوامش:

١ . أنظر أسدالغابة في معرفة الصحابة؛ والإصابة؛ وتفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور؛ وتفسير الكشاف للزمخشري: سورة عبس؛ والتاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله تأليف الشيخ منصور علي ناصف؛ من علماء الأزهر؛ وتفسير لطائف الإشارات، القشيري.

٢ . حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني٢: ٤ رقم ٨٨. كتاب الأوائل، لأبن أبي عاصم:٤٣، تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور: سورة عبس.

٣. أنظر مكاتيب الرسول، الأحمدي الميانجي ١:٣٩٩. وما نقله عن التراتيب الإدارية ١:٤٤٧.

٤ . تفسير التحرير والتنوير، سورة عبس.

٥ . مجمع البيان: سورة عبس.

٦ . السيرة النبوية، لابن هشام، معركة بدر الكبرى٢ : ٦١٢.

٧ . معجم البلدان، مادة: قرقرة.

٨ . معجم البلدان، مادة: بفران.

٩ . معجم البلدان: مادة: غرس و قبا.

١٠ . معجم البلدان، مادة: (دومة).

١١ . أنظر التنبيه والإشراف، للمسعودي؛ ومعالم المدرستين، للسيد مرتضى العسكري١ : ٢٠٦، إستخلافات الرسول صلى الله عليه وآله.

١٢ . أنظر كتاب الأم، للإمام الشاطبي٦ : ٢١٧؛ جامع المقاصد، للمحقق الثاني٢ : ١٧٦. الأذان والإقامة. من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق١ :٢٠٩، الحديث ٩٠٥، ٩٠٦.

١٣ . أنظر من لا يحضره الفقيه١ :٢٠٤ـ٢٠٩، الحديث٩٠٦.

١٤ . الرعد : ٢٩.

١٥ . حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني٢ : ٤ رقم ٨٨.

١٦ . المعجم الوسيط:٥٨٠، عبس،١٠٥٧ ؛ وتفسير مفردات القرآن، للدكتور الحمصي.

١٧ . المدثر : ٢٢.

١٨ . الانسان : ١٠.

١٩ . عبس: ١٦؛ التحرير والتنوير.

٢٠ . الميزان في تفسير القرآن، الآية.

٢١ . دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: سورة عبس وأيضاً في تفسيره أضواء البيان في تفسير القرآن، ذكر التالي تحت (تنبيه) : مما اتفق عليه المحدثون جواز ذكر مثل هذه الأوصاف إذا كانت للتعريف لا للتنقيص، فقالوا: الأعمى والأعور والأعرج. وفي الحرف قالوا: الخراز، والخرقى، ونحو ذلك، وهذا ما فيه مصلحة لترجمة الرجال في السند. ومثله: ليس تنابزاً بالألقاب في هذا الفن. والله تعالى أعلم. ومثله: إذا كان

للتعريف في غرض سليم دون تنقص كما قدمنا.

٢٢ . أنظر التفسير الكبير، للإمام الطبراني (ت٣٦٠ هـ) ؛ والكشاف للزمخشري؛ تفسير الطبري؛ والدر المنثور٨: ٤١٦؛ أسباب النزول، للواحدي: ٤٧١ الباب ٤٤٦؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ وتفسير ابن كثير.

٢٣ . أنظر جامع الجوامع؛ ومجمع البيان، للشيخ الطبرسي؛ والأمثل، للشيخ مكارم الشيرازي؛ من وحي القرآن، للسيد فضل الله.

٢٤ . تنزيه الأنبياء: تنزيه سيدنا محمدﷺ عن المعاتبة في أمر الأعمى.

٢٥ . القلم : ٤.

٢٦ . آل عمران : ١٥٩.

٢٧ . الشعراء : ٢١٤ ـ ٢١٥.

٢٨ . الحجر : ٨٨.

٢٩ . الحجر : ٩٤.

٣٠ . تفسير الميزان: سورة عبس.

٣١ . أنظر تنزيه الأنبياء، للشريف المرتضى؛ والميزان، للطباطبائي؛ وتفسير القمي٢ :٤٣٠؛ ونورالثقلين٥ : ٥٠٨؛ والبرهان٤: ٤٢٧؛ وكنز الدقائق١٤: ١٣٢ كل ذلك عنه.

٣٢ . النساء : ٩٥ ـ ٩٦.

٣٣ . أنظر مجمع البيان، للشيخ الطبرسي؛ وتفسير ابن كثير وغيرهما من التفاسير؛ وأسباب النزول، للواحدي؛ وأيضاً في ظلال القرآن، لسيد قطب؛ وتفسير القرآن الكريم، لابن كثير: الآية، بتصرف.

٣٤ . وسائل الشيعة ـ كتاب النكاح ـ الباب ١٢٩ من أبواب مقدمات النكاح، باب تحريم رؤية المرأة الرجل الأجنبي وإن كان أعمى، الحديث١ و٤ ؛ وكنز العرفان، للسيوري٢: ٢٢٢ وفي هامشها: أخرجه أبوداود والترمذي وصححه، والنسائي والبيهقي في سننه عن أم سلمة كما في الدر المنثور٥ : ٤٢. و تبعه في هذا الهامش الأردبيلي صاحب زبدة البيان في أحكام القرآن:٥٤٣.

٣٥ . النور : ٣١.

٣٦ . زبدة البيان: هامش الصفحة: ٥٤٣ ؛ المكتبة المرتضوية لإحياء التراث، تهران ناصر خسرو.

٣٧ . الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، سورة النور:٣١.

٣٨ . تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور: النور:٣١.

٣٩ . النساء: ٦٩.